جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

الصورة الفنيّة في القرآن الكريم

دراسة أُعِدَّت لنيل درجة الماجستير في الآداب

بإشراف الأستاذة الدكتورة

هناء دويدري

اعداد الطالبة

ألما سليمان المحمد

العام الدراسي ١٤١٥ - ١٤١٦ هـ
١٩٩٤ - ١٩٩٥ م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقل ربِّ زدني علماً ﴾

صدق الله العلي العظيم

يا ودود ياذا العرش المجيد يا فعّال لما تريد

أسألك اللهم بعزّك الذي لا يضام، وملكك الذي لا يُرام

وبنور وجهك الذي أضاء أركان عرشك

أن تصلي على محمد وآله الطيبين

الطاهرين وعلى أصحابهم الغر الميامين .

وأن تتقبل مني عملي هذا خالصاً لوجهك الكريم

يا أرحم الراحمين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

- إلى الحبيبين الغائبين عن عيني الحاضرين في قلبي اللذين علماني أن العلم طريق إلى الحب الأسمى ، حب الله .

" أبي وأمي رحمهما الله "

- إلى من يمدوني بدفق الحنان وفيض الأمل إلى حبات القلوب عبير الحياة ورحيقها الدائم .

" الأهل والأقرباء "

- إلى أصحاب القلوب الطيبة العامرة بالمحبة والإيمان.
- إلى الأيدي البيضاء التي أمدتني بالعون .
- إلى العقول الراجحة التي أنارت طريقي في البحث.
- إلى كل من أهداني ابتسامة حب وتشجيع .

أهدي عملي المتواضع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد رسول اللّه ، وبعد : فقد عدت إلى كتب التراث لعلّي أهتدي إلى بحث أدبيّ طريف أتلمَّس به طريقاً تصل ثراء الماضي بجدّية الفكر المعاصر ، فأثمرت الجهود – بفضل اللّه – في دراسة (الصورة الفنيّة في القرآن الكريم) ، ولمّا صحّ منّي العزم ، عرضت اختياري على أستاذتي المشرفة الدكتورة هناء دويدري فرحّبت بالموضوع ، وشجّعتني على مواصلة مسيرتي العلميّة ، ولمّا وضعت أمامها ثبت المصادر والمراجع التي كانت عمدتي في البحث وأذكر منها على سبيل المثال: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني ، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرمّاني والخطّابي والجرجاني ، وإعجاز القرآن للباقلاّني ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجنّي ، والتصوير الفنّي في القرآن الكريم لسيّد قطب ، والنقد الأدبي الحديث لمحمّد غنيمي هلال ، واللغة بين المقاييس الوصفيّة لتمّام حسّان ، ومباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح والصورة الفنّيّة في التراث النقدي والبلاغي لجابر عصفور وأثنت على جهودي ، وأوصتني بمراعاة الدقّة في وضع أجزائها ، وأرقام صفحاتها في الهوامش ، والدقّة في ذكر طبعاتها ، وقد تابعت أعمالي وزوّدتني بين الفينة والفينة بالنصائح والتوجيهات ومنها توثيق النصوص وضبط الآيات ونسبتها إلى سورها، والإشارة إلى أماكنها في مصادرها ووضع كلّ ذلك في فهارس عامّة .وإنّني إذ أشكر لها اهتمامها وحسن رعايتها أتقدّم إلى عضويّ اللجنة : الدكتور إسماعيل الكفري والدكتور هيثم غرّة اللذين تفضّلا فقبلا المشاركة في المناقشة ومنحاني من وقتهما في قراءة البحث مايجعل لساني عاجزاً عن التعبير ، وقلمي كليلاً عن تبيان وافر الشكر وعظيم الامتنان جزاهما اللّه كلّ خير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقع البحث في مقدّمة وبابين وخاتمة ، وقد اشتمل على شرح مفصّل لطريقة التصوير الفنّي في القرآن الكريم ، تلك الطريقة التي جعلت للمعاني والأغراض والموضوعات القرآنيّة صورتها التي نراها ، ومن هذه الصورة كانت قيمتها الكبرى ، فالتصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن الكريم وهو القاعدة الأولى لبيان الإعجاز فهو تصوير باللون والحركة والإيقاع مع الحوار ، وجرس الكلمات ونغمة العبارات مع موسيقى السياق في إبراز صورة من الصور بحيث تملأ العين سحراً والأذن والحسّ والخيال إعجاباً .

يبدأ البحث بعد المقدمة التي أشرت فيها إلى أسباب اختيار الموضوع ، وأسماء بعض المصادر والمراجع ، بباب تحدّثت فيه عن طبيعة الصورة الفنّيّة في القرآن الكريم وقسّمت الباب إلى ثلاثة فصول .تحدّثت في الفصل الأوّل عن ورود كلمة " صورة " في القرآن الكريم وشرح المعاجم اللغويّة لها وآراء المفسّرين ، ثمّ انتقلت إلى آراء النقّاد القدامى وبيّنت أنّهم تناولوا الصورة عموماً وفي القرآن الكريم خصوصاً من خلال نظرة جزئيّة لم تتح لهم أن يدركوا مكانة الصورة الفنيّة في القرآن الكريم . ثمّ تحدّثت عن آراء النقّاد المحدثين الذين اهتمّوا بدارسة الصورة الفنّيّة في الشعر وأهملوا دراستها في القرآن الكريم وتناولوها من وجهات ثلاث :

١- من وجهة نظر التراث .

٢- من وجهة نظر النقد الغربي .

٣- الجمع بين النقد القديم والنقد الحديث .

وأوضحت أنّ دراسة الصورة الفنّيّة في القرآن مختلفة تماماً عنها في الشعر أو غيره من الأجناس الأدبيّة. ثمّ انتقلت في الفصل الثاني إلى الحديث عن أسس بناء الصورة الفنّيّة في القرآن الكريم ، مفصّلة الحديث عن كلّ منها وهذه الأسس هي الفكر الإسلاميّ ، الواقع الخيال ، العاطفة اللغة ، الإيقاع. ثمّ تناولت بالدراسة الصورة المفردة فتحدّثت عن مستوياتها وأهمّها اثنان : المستوى البلاغيّ ، والمستوى الحسّيّ ، وقد ميّزت في البلاغيّ ضربين : الضرب الأوّل : البلاغيّ التقليديّ الذي يشمل التشبيه والاستعارة ، والكناية ، والضرب الثاني : ويشمل المفهوم الحديث للصورة ، وهو التمثيل الحسّيّ من رمز

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووصف. أمّا المستوى الحسّيّ فيستعمل الصور المدركة بالحواس وهي: البصريّة والسمعيّة واللمسيّة والذوقيّة والشمّيّة .

ثمّ أتبعت الباب الأوّل بباب ثان تناولت فيه الصورة في النسق القرآنيّ . تحدّثت في الفصل الأوّل منه عن موضوعات الصورة الفنّيّة في القرآن الكريم ، فتعرّضت للمعاني الذهنيّة والنماذج الإنسانيّة ومشاهد الطبيعة ومشاهد القيامة من خلال السياق القرآني. ثمّ تلاه الفصل الثاني وضّحت فيه وظائف الصورة الفنّيّة في القرآن الكريم وهي : الوظيفة الجماليّة والوظيفة النفسيّة والوظيفة الاجتماعيّة والوظيفة الدينيّة .

وفي الفصل الثالث تناولت بالحديث الصورة الفنّيّة والإعجاز في القرآن الكريم ، وبيّنت بالتحليل ما أقرّه القدماء والمحدثون بأنّ الصورة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنظم القرآنيّ ، لابل هي أساس هذا النظم ومادته الموحية .

وفي الخاتمة عرضت نتائج البحث ، وبيّنت أنّ الصورة الفنّيّة في القرآن هي مورد عذب للمتلقّي يمكن من خلالها أن يكشف حقائق الحياة والكون والإنسان ويهتدي إلى الحقّ ، ويمتلك أجمل ما حباه اللّه للإنسان وهو الحبّ الأزليّ الذي لايفنى. ثمّ ختمت الموضوع بخاتمة مناسبة أوجزت فيها نظرتي إلى التصوير الفنّيّ في التعبير والعلاقة الطبيعيّة بين الفكر واللغة في القرآن الذي لاتنفد طاقاته وذخائره (**قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**) (الكهف/ ١٠٩)

وعلى اللّه توكّلت وما توفيقي إلاّ باللّه والحمد لله ربّ العالمين

ألمى المحمّد

دمشق في ١٩٩٥/١١/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأول

طبيعة الصورة الفنية

في القرآن الكريم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الباب الأوّل – طبيعة الصورة الفنية في القرآن الكريم

الفصل الأوّل – مفهوم الصورة

تعدّ الصورة الفنّيّة أداة القرآن الكريم المفضّلة في التعبير والإبلاغ بما تتمتّع به من حركة وحياة ، وبما تمتاز به من قوّة التأثير في المتلقّي ، هذه الظاهرة البارزة في القرآن الكريم لم تحظَ باهتمام النقّاد والبلاغيّين القدامى والمحدثين ، إذ ارتبطت في البدء بالتفسير القرآني ثمّ خضعت لقوانين البلاغة والأقيسة المنطقيّة ، ولم يحاولوا أن يخرجوها إلى حيّز أرحب وأعمق لكن الشعر كان أوفر حظّاً فانصبّت الدراسات عليه. وقد لمع كتاب سيّد قطب " التصوير الفنّيّ في القرآن " في سماء الدراسات النقديّة الحديثة إذ تفرّد بدراسة هذه الظاهرة المميّزة ، وبالرغم من أهمّيّتها إلاّ أنّ النقّاد المحدثين لم يولوها عناية خاصّة بل تناولوا الصورة بشكل عام. وليس الغرض من هذا العرض التقليل من شأن الدراسات القديمة والحديثة ، بل الغرض الحقيقيّ هو الإشارة إلى أنّ هذه الدراسات جميعها شكّلت إرهاصاً وأساساً متيناً لبناء هذا البحث. وقد وردت كلمة " صورة " في القرآن الكريم ست مرّات بصيغ مختلفة فجاءت بصيغتي الماضي والجمع في قوله تعالى : ﴿ **وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُم** ﴾[1] وبصيغة الماضي فقط في قوله عزّ وجلّ : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ** ﴾[2] وبصيغة المضارع في قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾[3] وبصيغة اسم الفاعل في قوله سبحانه : ﴿ **هُوَ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ** ﴾[4] وبصيغة المفرد " صورة " في قوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ** ﴾[5] .

٤٨٠١٣٦

---

(١) سورة غافر – الآية :٦٤.

(٢) سورة الأعراف – الآية:١١.

(٣) سورة آل عمران – الآية:٦.

(٤) سورة الحشر – الآية:٢٤.

(٥) سورة الإنفطار – الآيات ٦–٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقف المفسّرون عند هذه الكلمة وقفة سريعة مشيرين إلى معناهابشكل عابر ، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وصوَّركم فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ** ﴾ أي أحسن أشكالكم[1] أمّا القرطبيّ فعبّر عن معناها بقوله : " خلقناكم في أحسن صورة "[2] . ويرى الزمخشريّ أنّ اللّه خلق الإنسان على هيئة ميّزته عن سائر المخلوقات "[3] . من الملاحظ أنّ المفسّرين نظروا إلى " الصورة " من حيث الشكل متأثّرين بالمعاجم ، ففي القاموس المحيط : " الصورة بالضمّ الشكل ، والجمع صُور وصِور ، وقد صوّره فتصوّر ، وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة "[4] . وقال ابن سيده الأندلسيّ[5] : " الصورة في الشكل ، ونقل عن الجوهريّ ، عن الكلبيّ في قوله تعالى : ﴿ **يَومَ يُنْفَخُ في الصُّور** ﴾ ويقال هو جمع صورة مثل بُسر وبسرة أي ينفخ في صور الموتى الأرواح . قال : وقرأ الحسن ﴿ **يوم ينفخ في الصور** ﴾ بفتح الواو. وقد يراد بالصورة الوجه من الإنسان أو الهيئة من شكل أوصفة[6] . كما ارتبط مفهوم الصورة بالشكل من خلال التأثّر بالفلسفة الأرسطيّة اليونانيّة التي تفصل بين (الصورة والهيولى) فالصورة هي الشكل ، والهيولى هي المادّة[7]

وكان لفكرة الفصل بين اللفظ والمعنى في تفسير القرآن الكريم عند المعتزلة أثر بارز في تعميق فكرة الفصل بين الصورة والهيولى وتدعيمها[8] .

وبالرغم من إجماع آراء المفسّرين وعلماء اللغة على أنّ الصورة هي الشكل ، إلاّ أنّ

---

(1) تفسير القرآن الكريم – إبن كثير ١٠٦/٤.

(2) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي ٣٢٨/١٥.

(3) الكشاف – الزمخشري ج٤٣٥/٣.

(4) القاموس المحيط – مادة صور.

(5) المصدر نفسه.

(6) لسان العرب – مادة (صير) و (صور).

(7) الصورة في الشعر العربي . د. علي البطل ص ١٥.

(8) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي د. جابر عصفور ص ٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القرآن الكريم لا يفصل بين صورة الإنسان وجوهره ، بين جسده وروحه ؛ لأنّ اللّه تعالى خلقه في أحسن تقويم وميّزه عن باقي مخلوقاته بالعقل والإدراك والشعور .

أمّا النقّاد والبلاغيّون القدامى فقد توزّع اهتمامهم بين بلاغة القرآن الكريم ونقد الشعر ، وكان الجاحظ أوّل من لفت الانتباه إلى الصورة في العمل الأدبيّ بقوله : " فإنّما الشعر ضرب من النسج وجنس من التصوير "[1].

لكنّ الرمّانيّ كان أكثر تحديداً لمعنى التصوير إذ قال : " تجسيد المعنويّات في المحسوسات التي ترى بالأبصار "[2].

وقد نهج أبو هلال العسكريّ منهج الرمّاني ّ وأخذ عنه فكرته[3] إلاّ أنّه ألحّ على الصور البصريّة[4] ، من خلال إخراج مايرى إلى مالا يرى : يقول في قوله تعالى : ﴿ **فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ** ﴾[5] حقيقته غفلوا عنه وفي قوله تعالى : ﴿ **ولا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ** ﴾[6] لاتكونن ّ ممسكاً والاستعارة أبلغ لأنّ الغلّ مشاهد والإمساك غير مشاهد وقوله : ﴿ **أَوْ آوي إِلى رُكْنٍ شَديد** ﴾[7] أي إلىمعين ، والاستعارة أبلغ ؛ لأنّ الركن مشاهد. ﴿ **فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ** ﴾[8] يقول أخرج ما لايرى من تنقصهم بآيات القرآن إلى الخوض الذي يرى وعبر عن فعل إبليس الذي لا يشاهد بالتدلي من العلوي إلى سفل وهو مشاهد.وبالرغم من أن جهود الرماني والعسكري وغيرهما لا تُنكر ، إلا أنهم لم يخرجوا عن نطاق التأثر بالتفاسير واللغة والفلسفة ، فبقيت دراساتهم محصورة في النظرة الجزئية إلى الصورة ، وإلتفاتهم إلى الشكل.

---

(1) كتاب الحيوان - الجاحظ ج٣/١٣١-١٣٢.

(2) الصورة بين القدماء والمعاصرين - د. محمد إبراهيم عبد العزيز شادي ص ١٨٥.

(3) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٢٦٢-٢٦٤.

(4) المصدر السابق ص ٢٩٩.

(5) الصناعتين ص ٣٠٢ - الآية في سورة القرآن رقم ١٨٧.

(6) المصدر نفسه ص ٣٠٣ والآية في سورة الإسراء رقم ٢٩.

(7) المصدر نفسه ص ٣٠٣ والآية في سورة هود رقم ٨٠.

(8) الصناعتين ص ٣٠٣ والآية في سورة الأعراف رقم ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لكن عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) قدم نظرة جديدة إلى الصورة من خلال العلاقة التي تربط شكل الصورة بمعناها يقول: " ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وان سبيل المعنى الذي يعبر عن سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار ، فكما أن محالاً إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة ، أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة . كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه"[١] .

ويتحدث الجرجاني عن طبيعة الصورة بأنها تمثيل وقياس وإبراز المعنويات في صورة المرئيات . يقول : " واعلم أن قولنا صورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"[٢] .

ولم يدّع الجرجانيّ لنفسه السبق في إطلاق مصطلح الصورة ، بل أشار إلى قدمه وحديث الجاحظ عنه . يقول : " وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه فينكره منكر ، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ويكفيك قول الجاحظ : (إنّما الشعر صياغة وضرب من التصوير)"[٣] .

ويعرض الجرجانيّ في كتابه " دلائل الإعجاز " للأنواع البيانيّة كالتشبيه والاستعارة والكناية مبيّناً أنّ جمالها لايرجع إلى حسن ألفاظها ، إنّما قيمتها في كونها " صورة للمعاني "[٤] .

ويؤكّد الجرجانيّ في كتابه " أسرار البلاغة " قيمة هذه الأنواع البيانيّة ومكانتها وبأنّ جلّ محاسن الكلام متفرّع عنها يقول : فإنّ هذه أصول كبيرة كان جلّ محاسن الكلام – وإن لم نقل كلّها – متفرّعة عنها وراجعة إليها وكأنّها أقطاب تدور عليها المعاني في

---

[١] دلائل الإعجاز ص ٢٥٤-٢٥٥.

[٢] المصدر نفسه ص ٥٠٨.

[٣] دلائل الإعجاز ص ٥٠٨.

[٤] المصدر نفسه ص ٢٦٤-٢٦٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

متصرّفاتها وأقطار تحيط بها من جهاتها "[1] .

لكنّ نظرة الجرجانيّ إلى الصورة لاتنحصر في الأنواع البيانيّة المعروفة بل يتسع مدلولها ويجعلها إطاراً عامّاً تتشكّل فيه المعاني وتظهر فيه كلّ الأساليب الفنّيّة بيانيّة وغير بيانيّة[2]

وقد التفت الجرجانيّ إلى دراسة الصور الحسّيّة بأنواعها كاللون والهيئة والحركة والصوت والذوق واللمس.[3]

لقد ربط الجرجانيّ اللفظ بالمعنى من خلال نظريّة النظم وأوضح أنّ الصياغة هي التي تمنح النصّ جماله وقيمته ، فليس للفظة المفردة قيمة بدون المعنى ، فالصورة عنده في النظم والصياغة ، وما الأنواع البيانيّة لديه إلاّ أجزاء من عناصر تشكّل الصورة ، وهذا ما يبرزه في تحليله لقوله تعالى : ﴿**واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً**﴾[4] يقول : " يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشمول ، وأنّه قد شاع فيه وأخذه من نواحيه "[5] . فمن خلال تركيزه على أنّ الصورة هي في النظم أو الصياغة يحاول الجرجانيّ أن يثبت أنّ إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى صياغته .

ثمّ جاء الزمخشريّ (ت ٥٣٨ هـ) فكان أوّل من استخدم مصطلحات التمثيل والتخييل والتصوير مشيراً إلى أنّها تبرز المعاني المعقولة في صور حسّيّة . يقول : " إنّما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأشياء حتّى تبرزها وتكشف عنها وتصوّرها للأفهام "[6].

ويلتفت الزمخشريّ إلى التصوير الحسّيّ فيوضح أهمّيّته . يقول : " وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتّى يتصوّره السامع كأنّه ينظر إليه

---

[1] أسرار البلاغة ص ٢.

[2] الصورة بين القدماء والمعاصرين د. محمد إبراهيم عبد العزيز شادي ص ٣٢.

[3] أسرار البلاغة ٧١-٧٢.

[4] سورة مريم – الآية ٤.

[5] دلائل الإعجاز ١٠١.

[6] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري – د. محمد أبو موسى ص ٤٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعينيه فيحكم اعتقاده والتيقّن به "[1]

ويقسّم المعاني إلى نوعين محققة ومتخيّلة ؛ فالمحقّقة كقوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيْلِ اللَّه كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلِ** ﴾[2] ففي هذه الآية تصوير للأضعاف كأنّها ماثلة بين عينيّ الناظر[3]

أمّا المعاني المتخيّلة كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ** ﴾[4] " المقصود بها تصوير عظم الأمانة وصعوبة أمرها وثقل حملها والوفاء بها "[5]

ويرجع بلاغة القرآن إلى أسلوبه التصويريّ في نقل المعاني المحقّقة والمتخيّلة ، ويلحّ في تحليله للصورة القرآنيّة على الجانب البصري فيها ويتشابه في هذا مع الرمّانيّ وأبي هلال العسكريّ ولكن الصورة القرآنيّة أوسع وأشمل من التقديم البصري وحصرها فيه تضييق لقدراتها المتنوّعة والغنيّة "[6]

أمّا ابن الأثير (ت/٦٣٧) في المثل السائر[7] فقد ألحّ على الجانب البصري في الصورة ، وأطلق هذا المصطلح على كل مرئي ومشاهد من التشبيهات ، كقوله تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُمْ بِيْضٌ مَكْنُونٌ** ﴾[8] ، وهذا التشبيه عنده من قبيل تشبيه صورة حسّيّة بصورة حسّيّة . وهناك أيضاً تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى :

---

[1] البلاغة القرآنية – المؤلف محمد محمد أبو موسى – ص ٤٣٤.

[2] سورة البقرة – الآية:٢٦١.

[3] الكشاف – ٣٤٠/١.

[4] سورة الأحزاب – الآية:٧٢.

[5] الكشاف – ٢٧٧/٣.

[6] الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي ص ٢٩٧–٢٩٨.

[7] المثل السائر – ضبن الأثير – ص١٢٧.

[8] سورة الصافات – الآية:٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً ﴾[1] إذ يعبّر عن المعاني الذهنيّة بالصورة المرئيّة المشاهدة .

وقد تحدّث حازم القرطاجنّي (ت/٦٨٤هـ) عن المعاني الذهنيّة بقوله : " إنّ المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكلّ شيئ له وجود خارج الذهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدركه منه فإذا عبّر عن تلك الصورة الذهنيّة الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبّر عنه هيئة تلك الصورة الذهنيّة في أفهام السامعين وأذهانهم "[2] .

لقد تنوّعت المؤثّرات التي نظر من خلالها علماء البلاغة والنقد إلى الصورة فبعضهم تأثّر بالمنطق وعلم الكلام ، وآخرون تأثّروا بالفلسفة اليونانيّة ، كما سيطر التذوّق على قسم ثالث منهم ، لكن مفهوم الصورة بدأ يضيق مع طغيان النظرة المنطقيّة وإخضاع علوم البلاغة لها على يد السكّاكي والقزوينيّ وشرّاح التلخيص ، إذ أطلقوا مصطلح الصورة على بعض التشبيهات والاستعارات المركّبة . ولم ينظر هؤلاء العلماء الأجلاّء إلى الصورة من خلال علاقتها بالسياق بل اكتفوا بالنظرة الجزئيّة التي انعكست بالتالي على وظيفة الصورة ، فنظروا إليها نظرة سطحيّة ؛ فهي تهدف إلى الشرح والتوضيح أو التحسين أو التقبيح أو المبالغة أو الامتاع[3] .

---

[1] سورة النور - الآية:٣٩.

[2] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ١٨-١٩.د.حازم القرطاجي.

[3] الصورة الفنية في التراث البلاغي والنقدي ص ٣٦٤.د. جابر عصفور

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة في النقد الحديث

اهتمّ النقّاد المحدثون بدراسة الصورة الفنّيّة ، وأولوها كلّ عناية ، فدرسها بعضهم من خلال التراث ، والتفت آخرون إليها متأثّرين بمفاهيم النقد الغربيّة ، وبعضهم الآخر جمع في دراستها بين النقد القديم والنقد الحديث. ويتحدّث الدكتور فايز الداية عن الأساليب التي دفعته لتخيّر الصورة الفنّيّة يقول : " إنّ مايدفعنا إلى تخيّر الصورة الفنّيّة هو البحث عن الجدّة ، التي تستمدّ ألقها من الينابيع النقديّة الأصليّة ، ومن ثمّ تغدو أهلاً لإضافة خطوط عصريّة إلى التكوين البلاغيّ النقدي "[1]. فنظرته إلى الصورة تنطلق من التراث منبع الأصالة تهدف إلى إضفاء لمسات من النقد الحديث تبعث فيها الجدّة .

لكن الدكتور مصطفى ناصف يفضّل لفظ الاستعارة إذا حسن إدراكه على الصورة يقول : " لفظ الاستعارة إذا حسن إدراكه قد يكون أهدى من لفظ الصورة "[2]

فوافق بذلك رأي الناقد ريتشاردز الذي يرفض مصطلح الصورة لأنّه مضلّل "[3]

لكن مصطلح الاستعارة يثير مشكلات أكبر من مصطلح الصورة ، في رأي الدكتور نعيم اليافي ، فالصورة عنده أعم وأشمل من الاستعارة . لأنّها تشمل جميع الأنواع البلاغيّة وتضيف إضافات جديدة[4]

وقد تنوّعت الاتّجاهات في دراسة الصورة ، إذ نجد أنّ كثيراً من النقّاد تأثّروا بعلم النفس ، فتناولوا الصورة من هذه الوجهة فيرى " تراي " أنّ الصورة هي " التذكير الواعي لمدرك حسّيّ سابق "[5] وعلى ضوء هذا التعريف تقوم الصورة باسترجاع الصور المختزنة في الذهن بعد غياب المنبّه الحسّيّ ، وتعتبر الحواس هي مادة الصورة المكوّنة لها ، فالحواس تلتقط الموضوع الخارجيّ وتختزنه في الذهن ثمّ تأتي الصورة الفنّيّة فتستثير لها

---

[1] جماليات الأسلوب – فايز الداية – ص١٣.

[2] الصورة الأدبية ص٥ د. مصطفى ناصف.

[3] مقدمة لدراسة الصورة الفنية – ص٤٨ د. نعيم اليافي.

[4] المصدر نفسه ص ٤٩.

[5] مقدمة لدراسة الصورة الفنية ص ٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

L' imag artistique dans le Coran est le moyen d' expression et de communication préféréé `a laquelle recourt le coran , étant donné la force d'influence qu'exerce cette image sur l'auditeur (ou le lecteur) .

les ancien réthoriciens ont étudié partiellement la question de l'image artistique coranique dans l'interprétation du Coran et dans la Réthorique qui a soumis cette image à des normes logiques sévéres . Ainsi ont-ils restreint , dans un cadre étroit , sans faire ressortir cette imaqe à un domaine plus vaste et plus profond .

Quant aux critiques modernes, ils n'ont pas donné à l'image aristique coranique aucune importance, se bornant en general à étudier l'image poétique . Seul , Sayed kotb a orienté les regards et attire l'attention sur les formes de l'image artistique dans le Coran .

Dans son ouvrage intitulé " la description artistique dans le Coran "S. kotb a abordé d'une manière générale l'étude de l'image artistique dans le Coran . il a aussi étudié dans un autre ouvrage "Scènes Sur Le Jugement Dernier " , un phénomène déterminé des multiples phénomènes de toute image artistique.

Mais , malgré l'insuffisance des études qui ont été consacrées a l'image artistique coranique , celle-ci a été pour moi un thème et une base dans mon travail actuel .

L'image artistique coranique a été construite sur des bases stables , fixes et bien déterminées dont j'énumère:

1-La pensée :

L'image artistique coranique porte en elle une pensée vaste et profonde qui va de pair avec son contenu artistique .

2- La réalité :

L'image artistique puise sa matière de la réalité vivante même et , en conséquence , elle réunit la sincérité réaliste et la sincérité artistique .

3-L'imagintion :

L'imagination est la plus importante des bases sur lequelles s'appuie l'image artistique coranique . L'imagination puise sa matière des objets sensibles nouvelles . Elle les réunit et en forme une synthése de relations nouvelles qui eveillent l'auditeur et font stimuler les forces latentes de son imagination .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

4- Le sentiment :

Le sentiment est la force mobile de l'image artistique . Car , sans le sentiment , cette image devient sèche et froide et ne cause aucun effet sur l'âme de l'auditteur .

5- La langue :

La langue est le moyen de l'image artistique à laquelle elle recourt pour réaliser son influence sur l'âme de l'auditeur . La langue jouit d'une sorcellerie évocatrice qui couvre les idées coraniques et leur confère des dimensions nouvelles et une force d'impression et de suggestion fortes .

6-L'harmonie :

L'harmonie contribue dans une grande part à la formation de l'image artistique et à l'influence qui s' exerce sur l'auditeur . Cette harmonie commence par la cadence de la sonorite des lettres s'etend aux mots et finit par le rythme coranique . Les sons des lettres s'harmonisent entre eux pour former la musicalité des mots qui , à leur tour, s'accordent hamonieusement pour composer la musique sympnonique du verset coranique . Le rythme conranique joue un rôle important en faisant ressortir et eclairer le sens .

La musique de l'image artistique coranique se diversifie et et se ramifie : elle est lente , lourde ou précipitée : tout genre de musique a sa suggestion propre qui s'harmonise avec le verset coranique . Tous ces facteurs sont intimement liés entre-eux et s'harmonisent ensemble pour former l'image artistique . On ne peut en aucun cas les séparer et les isoler que dans le but d'en faire un sujet d'étude .

Dans l'image artistique nous distinguons deux niveaux : le niveau réthorique et le niveau sensible .

1- Le nivéau réthorique : l'image artistique réunit les deux concepts de la réthorique:

A- L'ancien concept qui s'exprime par les formes de comparaisons , d'allégories et de métonymes .

B- Le concept moderne qui est la representation sensible exprimée par le symbole et la description.

2- Le niveau sensible : celui-ci renferme les images liées aux sens : la vue , l'ouis , le goût , le toucher et l'odorat .

Tous ces genres et facteurs se réunissent et s'enchevêtrent pour former une description générale qui se charactérise par l'emploi du monde sensible et aboutir aux onceptions mentales .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Au surplus , l'incarnation , la prosopée et la personnification et le mouvement donnent à l'image artistique une animation qui intensifie son action et effet sur l'auditeur .

Le symbole est considéré comme un des facteurs les plus importants de la conception moderne . On peut affirmer que le symbole englobe et domine tous les niveaux de l'image artistique étant donné que celle-ci est soumise à l'inter-prétation et au mouvement du texte coranique .

Les sujets et les objets de l'image artistique sont multiples . J'en ai énuméré dans mon travail les suivants :

1- Le cancept mental et l'état psychologique ,

2- Les divers types et modeles humains ,

3- Les payasages dans la nature , et

4-Des scènes sur le juegemnt dernier ou la résurrection. Chaque sujet précité est lié intimement aux autres sujets ou objets de sorte qu'ils forment , réunis ensemble , une dex-cription évocatrice et impressionnante. ٤٨٠١٣٦

Quant aux fonctions , elles sont la base cruciale de l'image artistique . Parmi les plus importantes foctions , nous relevons :

1- La fonction sociale 2- La fonction psychologique 3- La fonction esthétique 4- La fonction réligieuse .

Toutes ces fonctions se complètent pour réaliser le but sublime visant à éveiller l'esprit humai et à le faire sortir de sa léthargie .

L'éloquence et l'inimitabilité de l'image artistique coranique prend sa source de l'entremêlement et de l'enchevêtrement des images entre elles pour créer un tableau parfait sur lequel sont peints tous les principes , les sujets et les niveaux dont j'ai déjà parlé dans cet essai. Les anciens et les modernes ont beaucoup écrit sur l'inimitabilité du Coran et ont imputé ce phénomène à la langue coranique et à sa puissance de faire ressortir les concepts et les idées .

Il faut préciser à la fin que l'image artistique coranique est un phénomène linguistique qui confère à l'auditeur une vaste horison , une imagination créatrice , une ampleur et une extension de la pensée : tout ceci se manifeste grâce à l'harmonie entre l'image artistique l'âme et le coeur de l'auditeur . Ce dernier sympathise et s'accorde avec le rythme , le mouvement et la perception des objets sensibles .

Alma Al -Mouhammad

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit